صالحاً آخذة افكارها عن مجموع اعمال الحزب او آراء عقلائه بحيث تلزم مشرباً لا تتحوّل عنه بتحوُّل الاحوال ولا تتلون امام حزبها بتلون المطامع ولا يلزم من اختصاصها ان تكون مضادة لغيرها من الجرائد في كل ما يكتب فيها فان الجرائد مدارس الافكار ومعارضتها اقفال لباب التعلم الادبي وانما تحافظ على مبادئ حزبها وتجاري الجرائد في المقالات العامة والافكار النافعة والا اذا تركت الاحزاب والجرائد واخذت كل ما يقال بالقبول من غير بحث في مصدره وما تحته من الدسائس تحول مجرى سيلها الوطني الى الاودية الاجنبية ووقعت في اشراك اوروبا وهي لا تشعر ولتكن المجامع مطهرة من ذوي الافكار الفاسدة محفوظة من الطائرين خلف المحسنات الاوروبية مصونة من التخاذل والتباغض متعلقة برئيس لا يختلف في استحقاقه للرياسة اثنان فاننا ان فعلنا ذلك قالت اوروبا قد عمّت المدنية واستوى فيها اشتات الشرق وعصبيات اوروبا

—*—

باب اللغة

تقدم لنا اننا بحثنا في اللغة العربية وما كانت عليه من العز والارتقاء ايام خلو العرب من الدخلاء والخلطاء وما صارت اليه بعد انتشار الدين الاسلامي وسلطتها على كثير من اللغات فعز على غير العرب النطق بها للتباين بين مخارج حروفها وبين حروفهم وعدم تعودهم على النطق فحرفوا بعض الكلمات وصحفوا ولحنوا حتى حدثت اللغة الدارجة المسماة بلغة العامة

وابتدأَ ذلك من القرن الاول من عصور الدين الاسلامي فامر امام المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه بوضع قانون صناعي به يرجع اللاحن الى اللغة الصحيحة واخذ العلماء يدونون الكتب فيها ولها كما قدمنا ذلك في مقالة اللغة والانشاء وعندما انتهى بنا البحث الى ذلك ورأينا انتشار الامية بسبب تقصير ملوك الشرق في جانب العلوم واشتغالهم بالحروب الداخلية والخارجية عما يقدم الامة من المعارف عزمنا على فتح جريدة تهذيبية تشتمل على فصل قصير باللغة الدارجة نحوّل به العامي الجاهل من كراهة سماع الكتب الى محبتها فينجرُّ به الامر الى سماع الكلام الصحيح وهناك لا يلزم كتابة غير الصحيح · وهذا الذي رأينا انه القوة الجاذبة لتحويل الافكار الى اللغة اذ ذاك فانشأنا جريدة التنكيت والتبكيت واصدرنا العدد الاول منها يوم الاحد ١٥ رجب سنة ١٢٩٨ الموافق ٦ يونيو سنة ١٨٨١ وفي العدد الثاني منها كتبنا فصلاً تحت عنوان « اضاعة اللغة تسليم للذات » فعارضنا فيه الفاضل الكاتب امين افندي شميل برسالة تبادل الجدال معه بسببها كل من الفاضل المنشيء احمد افندي سمير وكان يعنون بالفاضل السكندري والفاضل البليغ ابراهيم افندي الهلباوي وكان يعنون بالفاضل المصري وكنا اخذنا في فصل الجدال بالنظر في دعاويهم وبراهينهم فحالت احوال وعرضت موانع · والان رأينا جريدة الازهر بعد ان كانت باسم الفاضل البارع ابراهيم بك مصطفى ناظر دار العلوم صارت باسم المستر وليم ويلكوكس الانكليزي المشهور بطول الباع في الهندسة والصبر على شاق الاعمال وقد افتتحها بخطبة سبق انه خطب بها في كلوب

الازبكية مؤَداها ان المصريين لا توجد فيهم قوة الاختراع ولا مانع لهم الا اللغة العربية الصحيحة وانه اذا تحولت الافكار وحتمت استعمال اللغة الدارجة في المخاطبات والتآليف العلمية والتدريس امكن المصريين ان يخترعوا واطال الكلام في هذا الموضوع فرجعنا الى رسالة امين افندي شميل وقلنا ما اشبه الليلة بالبارحة وقد قال فيها « وبالاختصار فان في ضعف كل امة فقدان لغتها مهما كانت تامة الالفاظ واسعة المعاني والمباني » وهذه عبارة صحيحة لم يصرح بمثلها الازهر ولكننا نفهم ان المراد بالضعف ضعف الامة عن التحفظ على لغتها ولو لم تكن محكومة بالغير لاضعف القوة المالكة وضياعها فكم من امم خضعت لامم اعظم منها قوة واشد منها بطشاً وبقيت محافظة على لغتها فبعثتها الى الاستقلال وعزة الملك كالترك والفرس واليونان واسبانيا ورومانيا والبورتغال والبلغار ولو تركوا لغتهم واستعملوا اللغة الحاكمة لماتت وتجنسوا بالجنسية المتغلبة وصار المجموع امة واحدة ثم قال بعد ذلك « على ان بعض اللغات قد يكون لها وسائط طول البقاء لما فيها من التآليف الجليلة وافتقار العالم الديني والدينوي اليها فهي اشبه بحي في صورة ميت » ولم يرد بهذه العبارة الا اللغة العربية فانها هي التي انتشرت بها التآليف في جميع اقطار العالم ونزل بها القرآن الشريف الذي هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معاشر المسلمين فهو الداعي لحياة اللغة العربية الصحيحة وهو المقصود لكل محارب للغة ساع في اماتتها. وقوله فهي اشبه بحي في صورة ميت يريد به غلبة اللغات الاجنبية وامتدادها في الاقطار العربية واستعمالها في بعض المخاطبات والمؤَلفات ولذا

قال بعد ذلك « فاذًا ايها الاخ المتعصب للضاد ليس لك ان تلومني اذا تركت لغتي الى غيرها وانت تعلم ان الانسان مفطور على طلب التقدم » وهو محق فانيْ لا أَلومه على ترك العربية لانه لا يصيبه شيء بتركها لكون الانجيل نزل باللغة اليونانية وبترجمته بجميع اللغات لم يفقد من مؤَداه شيئاً وانما أَلوم مسلماً يتهاون في لغته تهاوناً ينسيه اياها فينسى القرآن الذي لو ترجم بافصح لغة اجنبية لجاء عبارة عن حكاية يقتدر على انشائها اي كاتب واضاعت بلاغته العربية وما فيه من الانواع البديعية والاستعارات والتشابيه والمترادفات والمشتركات والتقييد والاطلاق والتعميم والتخصيص والسجع والارسال والحذف والاضمار والايجاز والاطناب والتعريض والتلميح ورقة المعنى وسهولة اللفظ وغرابة التركيب وغير ذلك مما لا يتأَتي وجوده في ترجمة أَية لغة الا بتكلف وتعبير سخيف كما هو معلوم في النسخ المترجمة الى الانكليزية وغيرها مما لا يتناسب مع القرآن العربي في شيء مطلقاً ثم اشار الفاضل في رسالته الى قضيتين يبكت بهما القائمين بامور الامم الشرقية ضمنا حيث قال « اذهب الى دوائر احكامنا ومراكز تجارنا وانظر بكم يؤجر الكاتب الضادي والكاتب الدالي . ثم الف لك كتاباً واجعله كله ضادًا واصرف فيه عمرك واعرضه على قومك فترى ما لبضاعتك من رواج » فالقضية الاولى لا توجب ترك اللغة لان الامة ليست كلها في دوائر الحكومة ولا متجرة مع اوروبا وانما الجأ بعض الامة الى تعلم اللغات الاجنبية سوء تصرف بعض الحكام فبدل ان يتكلف الاوروبي المنتقل الى بلادنا اتجارًا واستيطاناً تعلُّم لغتنا ليعاملنا او يخاطبنا بها علموا هم بعض الامة ليخدم الاوروبي ويساعده على نفوذه

باتساع نطاق لغته فينا فحق لهذا الفاضل ان يبكت الذين أحيوا لغة الاجانب بامانة لغة البلاد . ولكننا لو فرض وتعلمنا اللغات الاجنبية وتكلم بها صغيرنا وكبيرنا عند الحاجة اليها لوجب علينا ان نحافظ على لغتنا العربية ونستعملها في معاملاتنا الخاصة بنا وبين ابنائنا واهلينا وفي كتب ديننا وعلومنا الاصلية والفرعية لبقاء الدين والجنس ببقائها وهناك لا تضر اللغة الاجنبية المستعملة في الضرورة لا في المعاملات والمخاطبات كما كان من اليونان ايام خضوعهم للترك فانهم اضطروا لتعلم اللغة التركية لقضاء ما يلزمهم من الحاكم بها مع محافظتهم على لغتهم فيما بينهم وفي كتبهم الدينية ودراستها فبقيت العصبية الدينية والروح الجنسية حية بحياة اللغة حتى جاءت الفرصة فخرجوا من ذل التابعية الى عز الاستقلال ولو كانوا تركوا لغتهم رأسا لصاروا اتراكا مسلمين بحكم اللغة التي استبدلوا لغتهم بها . وحاجتنا الدينية الى لغتنا اشد من حاجة اليونان الى لغتهم فان الانجيل لما ترجم بغير لغتهم تناولوه كما تناولوا الاصل والقرآن لو ترجم بلغة أخرى لعجزت الترجمة عن اداء مفهومه ومنطوقه كما قدمنا فضلا عن ان المصريين خصوصا والمسلمين عموما لم يترجموا كتبهم العلمية الى لغة غيرهم ولا نسي من تعلم الاجنبية لغته الاصلية بل ترجموا كتب العلوم الحديثة الى لغتهم وكتبوا بها كتبهم وجرائدهم وحكاياتهم وهزلهم وجدهم فاللغة الصحيحة هي الحية لاستعمالها بين الخاص والعام من عقلاء الامة واللغة الدارجة هي الميتة لعدم استعمالها في غير الضرورات التي يقضيها الحيوان بلا لغة ثم قال الفاضل «ان مؤلفاتنا التي نفتخر بها قد نهبت لفظا ومعنى الى مراكز الامم النامية فزادوا

عليها أُمورا كثيرة فهي حية في تلك الامم ميتة عندك لاسباب منها عدم صحة النسخ فكتبنا كلها اغلاط ومنها عدم وجود من يفهمها الآن وقد مات من كان يعرف معانيها · ومنها ان كثيرا قد نسخ بما اظهرته التجارب وقام غيره مقامه · ومنها الزيادات الجوهرية التي حدثت بعدهم ويجب معرفتها مما لا وجود له في هذه الكتب » اما قوله ان مؤَلفاتنا قد نهبت الخ فانه لا ينكر ان الانكليزي والفرنساوي لم يفهمها الا بعد تعلمه لغتنا العربيـة واتقانه معرفة قواعدها والا استحال عليه ان ينطق بالكلمات العربية من مخارجها فضلا عن فهم معناها فاذا كان الاجنبي يتعلم لغتنا لينقل ما فيها الى لغته افلا نتعلمها للمحافظة على ماعندنا واذا كان الاجنبي يقـدر على فهم معاني لغتنا وهي اجنبية عنه افلا نقدر على فهم مؤَلفات علمائنا ونحن من عشيرتهم · واما تعليله بالاغلاط فاظنه من باب التنكيت فان الذين تمدح بهم من الافرنج ما اخذوا تلك العلوم الا من هذه الكتب فيلزم ان تكون علومهم فاسدة لانها مأخوذة من اغاليط لا صواب فيها ولكنه مدحهم والمدح يستوجب الصحة غالباً · فان قيل انهم صححوها وهي بغير لغتهم قلنا افلا يقدر اصحاب اللغة على تصحيح كتبهم وهم ادرى بمركباتها من غيرهم · واما قوله قد مات من كان يفهم معانيها فانه منقوض بنفس القائل فانه احد من يتكلمون باللغة العربية وله اقتدار على فهم معاني تلك المؤلفات والاخذ منها والنقل عنها كما فعل في مؤَلفاته العربية مع كونه غير مشتغل بجميع العلوم العربية فالعلماء القائمون بتعليم تلك العلوم ودراستها يعرفونها حق المعرفة ولهم على كل كتاب شروح وحواشٍ يشهد بذلك الكتب التي الفت من القرن الاول الاسلامي الى الآن دعلى ان العلوم التي اهملت

في الشرق كالطب والهندسة والجغرافية وغيرها واستعملت في الغرب قد ترجمها الشرقيون الى لغتهم وقرأوها في مدارسهم فهذه المدارس المصرية قرئت فيها العلوم القديمة والحديثة الاصلية والمترجمة ولم يفتها شيء مما كتب في اوروبا ولم تتغير كيفية التدريس من اللغة العربية الى اللغة الفرنساوية او الانكليزية في بعض العلوم الا في هذه السنة وهي نشأة مؤقتة لا تمكث الا بقدر ما يطالب المصريون بحياة لغتهم التي يصرفون اموالهم على المدارس التي هي فيها ولا يعارضهم في ذلك معارض فان الاجنبي لم ينفق على المدارس درهماً ولا ديناراً حتى يحتم علينا لغته التي لا حاجة لنا بها في التدريس اما قوله ان كثيراً منها قد نسخ الخ يريد بذلك كتب الطب والمواليد والكيمياء والهيئة وغيرها لا كتب العلوم الشرعية او الالية لها وتقدم ان رجالنا المصريين ترجموا تلك المحدثات الى العربية . واما قوله ومنها الزيادات الجوهرية الخ فانه لا يطعن في اصل اللغة ولا يوجب تركها واستعمال غيرها فان المحدَثات تستعمل في جميع اللغات بالاسم الذي وضعه لها المخترع كالتلغراف والتلفون والفونغراف والبارومتر وغيره فحكم اللغة العربية في تلقيها اسماء المحدثات وضمها الى مافي معجماتها حكم جميع اللغات فلا تعاب بما ما ثلت فيه اعظم لغة متفاخر بها ثم قال بعد ذلك « ومن اين لك المال يا اخي وانت تتجر ببضائع اكلها العث وبدلتها المودة اما هو اجدر بك ان تترك هذه اللغة وشأنها التي لا تفيدك سوى حطة الشأن بعد تعب ونصب وجوع لا مزيد عليه وتختار لنفسك غيرها ان كتبت بها راجت كتابتك الخ » ولا شك انه ما اراد بذلك الا الهزل في صورة الجد فانه يكتب كتبه وجريدته ويتكلم ويترافع

باللغة العربية ولم يدركه تعب ولا نصب ولا جاع بل هو يرتزق بها ومع تعلمه كثيراً من اللغات الاجنبية لم تفده فائدة معاشية فانه لو كتب كتباً او جرائد بها ونشرها بين المصريين والسوريين ما اشتراها احد لعدم معرفتهم تلك اللغة ولو ارسلها اوروبا لكسدت بما فيها من المؤلفات والكتب الجمة فلو لم نحمل كلامه على الهزل لكان بقاؤه على ما كان عليه الاولون من التحرير والتعامل بالعربي ناقضاً لقوله اكلها العث وبدلتها المودة وشهرته بين ابناء العرب بالتاليف والفصاحة والفضل ما اوصله اليها الا كتابته العربية فاللغة العربية هي التي رفعت قدره بين قومه ولم يزل مجهولاً في البلاد التي تعلم لغة اهلها واذا كانت اللغة رفعت شأنه لهذا الحد كانت دعواه حط الشأن بسببها دعوى مازح يتفكه بقلب المواضيع. ثم قال بعد ذلك « نعم ان في لغة الطفولية لذة ووطنية الا ان الوطنية الحقة قائمة في المعاني لا في الالفاظ اعني في صيانة حقوق الافراد واحكام العدل والتسوية والالتفات الى الامة ولغتها وعدم اعطاء خبز البنين لغيرهم فاذا فعلت هيئتنا ذلك هان علينا كل شيء والا فانت تضرب في حديد بارد » ما احلى هذه العبارة لو كانت مقصداً له وما نقدمها وسائل فانه يعيب الحكومات الشرقية بامرين الاول عدم صيانة الحقوق واحكام العدل والتسوية وهذا اندفع بهيئة المحاكم الجديدة وتغيير صور الاحكام والادارات الى ما ترضاه اوروبا فضلاً عن غيرها والثاني عدم الالتفات الى الامة ولغتها وعدم اعطاء خبز البنين الى غيرهم ونحن نوافقه على ذلك فان نقل التعليم من لغة البلاد الى لغة اجنبية نقل للتلميذ من الجنسية والدين معا والعجب ان المصريين يبذلون لمعارفهم اموالهم التي

حصلوها بعرق جبينهم ثم تصرف في تعليم لغة غير البلاد ومصلحة غيرها ايضاً فما موجب تعليم مثل التاريخ والطب والهندسة والجغرافية باللغات الاجنبية والمتعلم سيستخدم بين من لا يعرفون كلمة اجنبية وهم فلاحو مصر وعوامها والكتب العربية في هذه الفنون توجد احتمالاً في المخازن فاي ضرورة تلجئنا لتركها وشراء غيرها بلغة اخرى وماذا نقول المعارف ياترى اذا قال لها الجناب الخديوي المصري الافخم مدارس ينفق عليها من مال رعيتي يحافظ فيها على لغتهم ودينهم وما جوابها اذا قال رجال الشورى اما ان تنفق اموالنا على ابنائنا فيما ينفعنا ديناً ودنيا او نلخذ ابناءنا ونترك المدارس خاوية فيسدد قسم من ديون الحكومة بما يصرف فيها او يستهلك منها لا ندري ما الجواب بعد علمنا ان الاجنبي لا ينفق فيها درهماً واحداً فالحق حق اصحاب الاموال العائذين بجاه خديويهم الاكرم الافخم وانا نبادلنا الفكر مع حضرة الفاضل مع طول العهد عندما راينا جريدة الازهر تدعونا الى ما تسوء به عاقبتنا وتسودُّ به وجوهنا ونصير به اعجوبة بين الامم فللفاضل شميل افندي الشكر على ما نبهنا اليه من احدى عشرة سنة مضت ونثني على جريدة الازهر الثناء الطيب فانها دقت جرس التنبيه فايقظت الرقود ونبهت الغافل واطلعت المصريين على سر من اسرار اوروبا بعد ان كان لا يعرفه الا العقلاء المشتغلون بالبحث في مقاصد اوروبا في الشرق على اننا نعلم علم اليقين انه لو ظهر الف داع بل مئات الوف من دعاة اوروبا لاسمال انة تميت لغة القرآن ما وجدوا اذاناً سامعة ولقد ترجم القرآن بالانكليزية والفارسية بقصد استعماله بهما بين الآخذين به فلم يفد ذلك

شيئًا ولا نجح المترجمون · وماذا نصنع بكتبنا التي تجل عن الحصرْ اذا تكلمنا باللغة الميتة العامية انحرقها ام نترجمها بالكلام الفارغ · ولماذا لم تكتب الانكليز كتبهم العلمية وجرائدهم باللغة الدارجة عندهم تعميماً للفائدة التي تريد ان تعممها في مصر وهل ترى ان المصريين اذا قرؤُا القرآن باللغة العامية عند استعمالها ونسيان غيرها ايرضى عنهم المسلمون ام يعدونهم منهم وهم يعتقدون ان تغيير حرف منه او تقديمه على ما قبله كفر مخرج للفاعل من الدين · اظن ان الازهر قصد ان يختبر المسلمين فاخترع لهم هذا الباب ليرى رسوخ قدمهم في حب لغتهم وتنبههم لاصولهم الدينية حتى اذا راى منهم ميلاً لافكاره واستحساناً لاختراعه ذمهم وبكتهم وشنع عليهم في مجامع اوروبا وقال انهم قوم لا يعرفون قدر جنسيتهم ولا حق وطنهم ولا فضل لغتهم ولا شرف دينهم فهم همل لا لغة لهم ولا دين · اما ذمه المصريين بعدم قدرتهم على الاختراع وعدم ثباتهم وعدم اقدامهم وعدم قولهم الحق فامر تعودنا سماعه من الاوروبيين ولكن يعز علينا ان نسمع مثله من رجل من رجال دولة تريد ان تهذب المصريين وترقيهم الى المدنية وتحب لهم الخير في كل عمل تقدمه لهم او تدعوهم اليه فان صدور مثل هذا الشتم منه ربما دلنا على ان ما نسمعهُ من النصح والوعظ وهمٌ فنتهم غيرهُ بما نتهمه به وربما كان بريئًا من التهمة بعيداً عن الخداع فنرجوه ان يرجع عما يملأُ قلوب المصريين بغضاً فانه بمثل هذه الاهاجي القبيحة يضيع اتعاب رجاله عشر سنين فانهم بذلوا جهدهم في جذب المصريين اليهم بالرفق واللين وحسن المعاملة ومراعاة الحقوق والمحافظة على الآداب والعوائد الاسلامية

والشرقية وصانعوا الفلاح والصانع وداخلوا الاعيان والامراء والوجهاء استجلاباً لقلوبهم ودفعاً للنفور الذي يحدثه سلب الغير للحقوق والتعدي بما لا منفعة فيه . ولم نذكره بذلك تعرضاً منا لامور سياسية ليست من شأن جريدتنا وانما ناديناهُ بلسان جريدة علمية تناظر جريدة علمية اخرى وسنعود لهذا الموضوع بعبارة اخرى في اعدادنا الآتية ان شاء الله تعالى

﴿ احصاء الجرائد ﴾

وقفنا على احصاء الجرائد المحلية عربية وافرنجية وذلك بحسب ما ورد لقلم المطبوعات حين تحريه ذلك اذ علم انه يطبع من المؤيد ١٢٠٠ ومن الاهرام ٢٧٧٥ ومن الهلال ٧٤٠ ومن الزراعة ٦٠٠ ومن المحروسة ٤٤٣ ومن الفلاح ٥٤٥ ومن المقطم ١٤٥٥ ومن المقتطف ١٣٠٠ ومن الفار ٤٣٢ ومن الغازت ٤٣٨ ومن البوسفور ٤٢٤ ومن التلغراف ٨٨٠ ومن الاستاذ ١٣٤٥ وقد اغفل النيل والوطن والاتحاد والسرور والآداب ومرقى النجاح والفتى والنصوح والمنظوم والبستان والفتاة والفرائد والحقوق والمحاكم والنشرة القبطية والنشرة الانجيلية والازهر قبل تحوله وفرصة الاوقات والرشاد واللطائف والوقائع المصرية والفوائد اما هذا الاحصاء فهو عما يرسل بطريق البوسطة لا عما يطبع بدليل ان الاهرام يبيع كمية كبيرة باسكندرية ولم تدخل الاحصاء والمؤيد يبيع بمصر ويوزع على مشتركيه فوق الاربعمائة نسخة ولم تدخل الاحصاء والاستاذ كان يرسل ذاك القدر الى البوسطة وقت الاحصاء وهو الآن يرسل الفا وخمسمائة وستة بالبوسطة ويوزع على المشتركين بمصر ٤٩٢ ويعطى للباعة بمصر ١٩٠ وللباعة باسكندرية ١٠٠ فمجموع ما يوزع منه الآن ٢٢٨٨ وانه لعدد كثير على